Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 3 | No. 4 | Page 121 – 142 | 2024
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

القضاء على الوجود اليهودي في فلسطين بين وعدين إلهيين: رؤية جديدة

The Elimination of the Jewish Presence in Palestine between Two Divine Promises: A New Vision

أسامة محمد أبو نحل

باحث – أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة الأزهر – غزة (فلسطين)

Osama Muhammad Abu Nahel

Researcher - Professor of Modern and Contemporary History
Al-Azhar University - Gaza (Palestine)

الملخص:

هدفت الدراسة إلى ذِكر الآراء المختلفة في تفسير الوعدين الإلهيّين اللذينِ وردا في سورة الإسراء (الآيات: 4-8)، بالقضاء على الوجود اليهودي في فلسطين قبل الإسلام، وكذلك بيان الآراء في الوعد الإلهي الثاني بالقضاء على الوجود اليهودي في التاريخ المعاصر، مع التركيز على تفسير القراءة الجديدة في الوعد الإلهي الأول بالقضاء على العلو اليهودي في التاريخ المعاصر. واعتمدت الدراسة على منهجين، هما: المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي التحليلي. واستنتج الباحث أن بداية القضاء على العلو اليهودي الأول قد بدأ مع اندلاع معركة طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول (أكتوبر) 2023م، ولا يزال مستمرًا حتى الآن.

الكلمات المفتاحيّة: الوعدان الإلهيّان، سورة الإسراء، فلسطين، اليهود، طوفان الأقصى.

Abstract:

This study aims to explore the diverse interpretations of the two divine promises articulated in Surah Al-Isra (verses 4-8). It seeks to address the historical context of the Jewish presence in Palestine prior to the advent of Islam and to present perspectives on the second divine promise concerning the eradication of Jewish presence in contemporary history. A particular emphasis is placed on reinterpreting the first divine promise in relation to the decline of Jewish supremacy in modern times. The research employs both inductive and descriptive analytical methodologies. Additionally, it incorporates the researcher's perspective, which posits that the initial ascendancy and subsequent corruption of the Jewish community, as referenced in Surah Al-Isra, commenced with the inaugural Zionist Congress held in Basel, Switzerland, in 1897. This trajectory continued with the establishment of the State of Israel in 1948 and the seizure of Al-Aqsa Mosque in 1967. The researcher concludes that the process of dismantling this initial Jewish supremacy began with the outbreak of the Al-Aqsa Flood War on October 7, 2023, and continues to unfold in the present day.

Keywords: The two divine promises, Surah Al-Isra, Palestine, the Jews, Al-Aqsa Flood.

المقدمة:

تمهيد:

إن الكتابة في مسألة الوعد الإلهي بالقضاء على الوجود اليهودي في فلسطين شائكًا، فموضوع الدراسة ليس تاريخيًّا أو سياسيًّا صِرفًا، بل يتمازج مع إشكاليّاتٍ دينيّةٍ بينتها سورة الإسراء؛ لذلك ينتاب الباحث الموضوعي مخاوفٌ من دخوله في محاذير قد تتعارض وتفسير آيات الله، لكن ما يشجّع على الخوض في هذه المسألة أنّ النصَّ فيها غير قطعي؛ فالنصُّ القرآني لم يستشفَّ منه أنه قد حدث فعلًا أو أنه ما زال قيد التنفيذ.

وما يدفع للكتابة في ذلك الموضوع ما حصل من اندلاع معركة (طوفان الأقصى) في 7تشرين الأول (أكتوبر) 2023م، وتمكُّن عناصر من المقاومة الإسلاميّة الفلسطينيّة من اجتياز حدود قطاع غزة مع الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام 1948م، وما أعقبها من استمرار الحرب الإسرائيليّة على القطاع حتى تاريخ كتابة هذه السطور؛ لذا فإن المعلومات التي تمَّ الحصول عليها حول مسألة الوعد الإلهي يعتريها اللبس في وقتنا الحاضر، وأنه آن الأوان لوضع قراءة جديدة لهذه المسألة بعد ما تابعناه من أحداثٍ تتشابه مجرياتها مع ما ورد في سورة الإسراء في قوله تعالى:

{فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا} [1].

- **أهميّة الدراسة:**

هنالك عددٌ من الدراسات التي تناولت مسألة القضاء على الوجود اليهودي في فلسطين، أو ما يُسمّى بإزالة دولة (إسرائيل)، وتباينت الآراء في تفسير الوعدين الإلهيّين بهذا الشأن. وتنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول فِكرةً جديدة راودت الباحث منذ حينٍ، وذلك عندما وجد صعوبة قبول بعض هذه الآراء لعدم تطابق بعضها مع سياق تفسير الآيات القرآنيّة لهذا الحدث العظيم؛ لذلك ارتأى الكتابة فيها من منظورٍ جديد مبنيٍّ على أن الوعد الأول هو ما نشهده حاليًّا في فلسطين، وأن الوعد الثاني حسب اجتهاده سيكون بعده بزمنٍ ليس بالبعيد كثيرًا.

- **مشكلة الدراسة:**

كتب الكثير عن مسألة الوعدين الإلهيّين، غير أن الباحث ارتأى أنها كتابات –على جدّيتها – تتطلّب التمعُّن جليًّا في الآيات القرآنيّة التي تناولتها. وتتمثّل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي: **ما الرؤية الجديدة في قراءة الوعدين الإلهيّين الخاصّين بالقضاء على الوجود اليهودي في فلسطين؟**

- **أهداف الدراسة:**

هدفت الدراسة إلى توضيح الآتي:

1. ذِكر الآراء في تفسير الوعدين الإلهيّين بالقضاء على الوجود اليهودي في فلسطين.
2. بيان الآراء في الوعد الإلهي الثاني بالقضاء على الوجود اليهودي في التاريخ المعاصر.
3. تفسير القراءة الجديدة في الوعد الإلهي الأول بالقضاء على العلو اليهودي في التاريخ المعاصر.

- **منهجيّة الدراسة:**

اعتمدت الدراسة على منهجين، هما: **المنهج الاستقرائي** (الاستدلالي)، وهو منهج هدفه جمع الأدلّة ذات الصلة بالوعدين الإلهيّين بالقضاء على الوجود اليهودي في فلسطين. و**المنهج الوصفي التحليلي** نظرًا لخصوصيّة الموضوع، بهدف تفسير وتحليل جميع البيانات الخاصّة بهذين الوعدين.

- **خطة الدراسة:**

اشتملت خطة الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث، ونتائجها وتوصياتها:

المقدمة: واشتملت على أهميّة الدراسة، ومشكلتها، وأهدافها، ومناهجها العلميّة.

المبحث الأول: ويشمل **الآراء في تفسير الوعدين الإلهيّين بالقضاء على الوجود اليهودي في فلسطين**، وفيه ثلاثة مطالب، المطلب الأول: **الفرق بين بني إسرائيل واليهود**، والمطلب الثاني: **الآراء في تفسير حدوث الوعدين الإلهيّين في التاريخ القديم**، والمطلب الثالث: **الآراء في تفسير الوعد الإلهي بالقضاء على الإفساد الأول لبني إسرائيل في صدر الإسلام.**

المبحث الثاني: ويشمل **الآراء في الوعد الإلهي الثاني بالقضاء على الوجود اليهودي في التاريخ المعاصر**، وفيه مطلبان، المطلب الأول: **الآراء في تفسير الوعد الإلهي بالقضاء على الإفساد الثاني**، والمطلب الثاني: **الآراء في تفسير الوعد الإلهي بالقضاء على الإفساد الثاني في آخر الزمان.**

[1]- سورة الإسراء: الآية: 5.

المبحث الثالث: ويشمل **قراءة جديدة في الوعد الإلهي الأول بالقضاء على العلو اليهودي في التاريخ المعاصر**، وفيه ثلاثة مطالب، المطلب الأول: **المؤتمر الصهيوني الأول وبداية العلو الأول لليهود**، والمطلب الثاني: **بدايات نهاية العلو الأول لليهود في فلسطين**، والمطلب الثالث: **استشراف موعد العلو الثاني لليهود في فلسطين**.

تمهيد:

منذ نشأة الحركة الصهيونيّة بين يهود أوروبا الشرقيّة في القرن (التاسع عشر)، وتنامي أطماعها لتكون فلسطين وطنًا قوميًّا لليهود، وصولًا إلى تمكُّن العصابات الصهيونيّة من احتلال 78% من أرض فلسطين الانتدابيّة عام 1948م، وتأسيسهم كيانًا سياسيًّا فيها أُطلق عليه اسم دولة (إسرائيل) التي تمكّنت في بضعة سنوات من التمدد في المنطقة العربيّة، فاستولت في عام 1967م على ما تبقّى من فلسطين (الضفة الغربيّة والقسم الشرقي من مدينة القدس وقطاع غزة)، إضافةً إلى مناطقٍ عربيّة أخرى ما دعا العرب للقبول بالأمر الواقع في قبول حقِّها بالوجود.

وكانت (إسرائيل) قد سعت منذ تأسيسها بجدٍّ على تكريس فوقيّتها العسكريّة في أذهان العرب والمسلمين، وارتكز هذا السعي من بين جملة أمور على عناصرٍ مساعدة، منها: التفوّق التكنولوجي، والتحالفات المتتالية مع القوى العظمى بدءًا ببريطانيا وانتهاءً بالولايات المتحدة الأمريكيّة، إلَّا أن الركيزة الأهم التي استندت إليها تمثّلت بالتفوُّق العسكري الإسرائيلي، وبرز ذلك في نتائج الحروب التي خاضتها على مدى العقود (الأربعة) الأولى من عمرها، وأفضت في معظمها إلى هزائمَ عربيّةٍ موصوفة.

المبحث الأول

الآراء في تفسير الوعدين الإلهيّين بالقضاء على الوجود اليهودي في فلسطين

المطلب الأول: الفرق بين بني إسرائيل واليهود:

قال تعالى في مطلع سورة الإسراء: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}**[2]. بهذه الآية افتتح المولى-عزَّ وجلّ – سورة الإسراء التي تحمل في طيّاتها معاني عدّة، تبيّن لنا مكانة المسجد الأقصى ومدينة القدس وفلسطين معًا لدى المسلمين، بربطه بين المسجد الحرام في مكّة المكرّمة والمسجد الأقصى في القدس، فبات الأخير مكانًا مقدّسًا لدى المسلمين ومن أوجب مسئوليّاتهم عبر العصور.

وتحمل سورة الإسراء أول مؤشّرٍ معنويٍّ للمسلمين، أنهم سوف يستعيدون المسجد الأقصى من بني إسرائيل أو ممّن تسمّوا بعد ذلك باسم اليهود، حيث باتوا يُدعون بهذا الاسم بعد السبي البابلي الذي تعرّضوا له بين عامي (597-586 ق.م)[3]. ولتوضيح هذا الأمر فلزامًا علينا بيان الفرق بين مصطلحي **(بني إسرائيل)** و**(اليهود)**. فثمة فارقٌ جوهريٌّ بينهما، **فالأول:** يعني (يعقوب) -عليه السلام -الذي تسمّى باسم (إسرائيل) وينسحب على أبنائه وحفدته، وظلَّ متداولًا حتى نهاية السبي البابلي[4]، تاريخ وجود الكاهن الإسرائيلي (عزرا) الذي كان يعمل

---

[2]- سورة الإسراء: الآية: 1.

[3]- لمزيد من التفاصيل انظر: سوسة (1978)، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص133-135؛ جارودي (1986)، فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ص118؛ سفر الملوك الثاني 24/1-17؛ سفر إرمياء 38/2-6؛ 39/1-8؛ 39/10.

[4]- عثمان (1994)، تاريخ اليهود، ج1، ص10.

في بلاط الملك الفارسي(ارتحششتا الأول) (465-425 ق.م).

أمّا المصطلح **الثاني:** فقد بدأ على يد (عزرا) نفسه عندما أسّس تعاليم الديانة اليهوديّة الموجودة حتى يومنا هذا، فتمّت تسمية بني إسرائيل باليهوذيّين نسبةً لمنطقة يهوذا الفلسطينيّة، وليس لأي جنسٍ أنثروبولوجي، ثمَّ حُرّفت بعد ذلك إلى اليهود[5]. بينما ذهب البعض[6] إلى أن منشأ التسمية باليهود تمَّ قبل وفاة (يعقوب) عندما أوصى أولاده بطاعة أخيهم (يهوذا) الولد الرابع له، وعندما حدث الشقاق بين الأخوة أُطلق لفظ اليهود على أولئك الذين تابعوه، بل ينفي البعض الآخر[7] دعاوى اليهود بأنهم من سلالة (يعقوب)، وأن دعوتهم تلك باطلة بإجماع علماء الأنثروبولوجيا(علم الإنسان). وقد تُرك المجال لاسم اليهود حتى القرن (التاسع عشر) للميلاد، حيث ظهر اسم الصهيونيّين إلى الوجود مرادفًا لاسم اليهود[8]. وبذلك كانت اليهوديّة في الواقع إعادة إنتاج للثقافات المصريّة والرافديّة والكنعانيّة، إضافةً للثقافة الخاصّة لمجموع القبائل التي حملت اسم بني إسرائيل[9].

والجدير بالذكر أنه لم يكن هنالك حتى زمن (عزرا) شعبٌ يُسمّي بالشعب اليهودي؛ فالدعوة السماويّة التي نزلت على (موسى) لم تكن تتسمَّى بالديانة اليهوديّة أصلًا. فمن المعلوم أن الدعوة التي نزلت عليه هي التوحيد أو الإسلام شأنها في ذلك شأن الرسالات التي نزلت على الأنبياء كافة؛ لذا لم يكن في زمنه أو قبله قومٌ أو شعبٌ تسمّى باسم الشعب اليهودي؛ إذ لم يرد نصٌّ صريحٌ بأن دينًا نزل على نبيٍّ ما حمل اسم القوم الذين نزلت عليهم الدعوة السماويّة. ولذا فإن كان أول وجود لبني إسرائيل على أرض فلسطين في زمن (يعقوب) وأبنائه؛ فإن العهد القديم يعترف اعترافًا صريحًا أنّ وجوده وأبناءَه كان مؤقّتًا طارئًا ولم يكن له صفة الديمومة؛ فبعد استدعاء (يوسف) -عليه السلام- لأبيه وإخوته للمجيء إلى مصر والاستقرار فيها، انتهى أيّ وجود لأبناء (يعقوب) في فلسطين، حيث ورد في سفر التكوين: وكانت "**جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون**" [10]، ومثل هذا العدد لا يجوز بحالٍ من الأحوال أن نعدّه شعبًا. ومن ثَمَّ يتضح أنه لم يكن هنالك شعبٌ يهوديٌّ موجودٌ في زمن (موسى) ولا حتى في زمن (داود) وابنه (سليمان) -عليهما السلام- وظلّوا يحملون اسم بني إسرائيل حتى تاريخ ظهور(عزرا) الذي برز في عهده لأول مرّة مسمّى اليهوذيّين أو اليهود كما سبق الإشارة، ومع ذلك كان لبني إسرائيل بقايا في زمن السيّد المسيح -عليه السلام- إذ كانت دعوته لهؤلاء البقايا لقوله تعالى: {... **وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ**...} [11]. ثمَّ إن القرآن الكريم استخدم كثيرًا في تناوله أحداث هؤلاء القوم مصطلح **(بني إسرائيل)**، ثمَّ استخدم مصطلح **(اليهود)** عند تعامل النبي الكريم- صل الله عليه وسلم - معهم، وذلك بعد أن استشرى هذا المصطلح بينهم، وأصبح معتمدًا خصوصًا بعد زمن (عزرا)، وقليلًا ما استخدم النصّ القرآني مصطلح **(الذين هادوا)**.

5- سوسة (1978)، ملامح من التاريخ القديم، ص17.
6- طعيمة (1972)، اليهود بين الدين والتاريخ، ص78-79.
7- عطار (1974)، عروبة فلسطين والقدس أصيلة منذ عشرات الآلاف من السنين، ص10.
8- مهران (1995)، دراسات تاريخية من القرآن الكريم (1)، في بلاد العرب، ص229.
9- عبد الرحمن (1994)، التاريخ والأسطورة: الحراك الثقافي في المنطقة العربية قديمًا، ص37.
10- سفر التكوين، الإصحاح: 27/46.
11- سورة المائدة، الآية: 72.

وقبل البدء بذكر الآراء الخاصّة بالوعدين الإلهيّين، نرى لزامًا تقرير من هم بنو إسرائيل المستهدفون في هذين الوعدين؛ لنطمئن إلى النتيجة التي سنتوصّل إليها؛ فقد سبق وأن قرر الباحث أن بني إسرائيل وُجدوا في فلسطين في عهد (يعقوب)، ثمَّ انتقل مع أبنائه إلى مصر، وفيها استقرّت ذريته نحو (أربعمائة) سنة، حتى ظهر بينهم (موسى)، ونشر فيهم وفي المصريّين دعوته، أي: إنه حدث اختلاطٌ أنثروبولوجيٌّ بين الفريقين. ودون الحاجة للسرد التاريخي فقد دخل بنو إسرائيل فلسطين واستقرّوا فيها بعد وفاته، لكنهم لم يتمكّنوا من تأسيس قوّة سياسيّة خاصّة بهم، وبقوا يدورون في فلك القوى الأخرى التي كان لها نفوذٌ في فلسطين، مثل: الفلسطينيّين (أقوام البحر) والمصريّين والآشوريّين والبابليّين والإغريق والرومان[12].

في أثناء وجود بني إسرائيل في فلسطين اعتنق بعض سكّانها ما كانوا هم يعتنقون من دعوة التوحيد التي نزلت على (موسى)، ثمَّ مع ظهور (عزرا) واختراع الديانة اليهوديّة وفرضها على سكّان منطقة يهوذا، اعتنق أيضًا بعض سكّان فلسطين هذه الديانة؛ ممّا ترتّب عليه من اختلاط أو تمازج أنثروبولوجيّ بينهم، وبات مصطلح اليهود طاغيًا على مصطلح بني إسرائيل لكنه لم يلغِه تمامًا، وبقيت رواسبُ منه.

هذا بالنسبة للحديث عمّن تسمّوا باسم اليهود في المنطقة العربيّة، لكن بعد ذلك ومع طرد الرومان لليهود من فلسطين عام 135م وتشتتهم في غير بلد، ومع ازدياد هجمات الخلافة العباسيّة والإمبراطوريّة البيزنطيّة في القرن (الثامن) على مملكة الخزر القوقازيّة الواقعة على بحر قزوين، عمد ملكها وبلاطه – نكايةً بالعباسيّين والبيزنطيّين – إلى اعتناق اليهوديّة، وتبعه غالبيّة شعب القوقاز. وعندما سقطت تلك المملكة في القرن (الثاني عشر) انتشر يهود الخزر في رومانيا وبولندا وكييف الأوكرانيّة، في روسيا والقرم والمجر وليتوانيا. وأصبح اليهود الخزر الذين عُرفوا بعد ذلك بالإشكناز هم الغالبيّة العظمى من يهود العالم، في حين كان اليهود الشرقيّون (السفارديم) الذين اضطروا للهجرة من البرتغال وإسبانيا عندما سقطت دولة الأندلس في أيدي الإسبان في نهاية القرن (الخامس عشر)، والبابليّون الذين عاشوا في العراق، يمثّلون أقليّة في دولة (إسرائيل) الحاليّة[13].

ومع أن غالبية يهود (إسرائيل) ينتمون إلى سلالة خزر القوقاز، ولا ينتمون سلاليًّا إلى (يعقوب) ولا إلى الجنس السامي ولا أهل المنطقة، فإن اليهوديّة –حسب النظريّة الصهيونيّة –ليست ديانة وإنما نوعٌ من البشر متفوّق بسبب انتمائه على باقي الأقوام. وكان اختيار اسم (إسرائيل) بدلًا من (يهوذا) للدولة اليهوديّة في فلسطين عام 1948م بعد صدور قرار تقسيم فلسطين عام 1947م، إنما يهدف أساسًا إلى تثبت الاعتقاد بأن اليهود ينتمون إلى بني إسرائيل الذين تحدّثت عنهم الكتب المقدّسة[14]؛ لذا أصبح يهود الخزر يهودًا بالديانة، وليس بالنسب أو الجنس أو العِرق لبني إسرائيل.

[12]- لمزيد من التفاصيل، انظر: أبو نحل؛ مخيمر (2008)، تاريخ فلسطين القديم بين روايات العهد القديم والدراسات الحديثة، الفصول: الثالث والرابع والسادس والسابع والثامن والتاسع.

[13]- عثمان (1994)، تاريخ اليهود، ج3، ص170-171؛ كوستلر (1985)، إمبراطورية الخزر وميراثها: القبيلة الثالثة عشرة، ص20-21.

[14]- عثمان (1994)، تاريخ اليهود، ج3، ص171؛ أبو نحل (حزيران 2011)، "يهودية دولة إسرائيل: جذور المصطلح وتأثيره على القضية الفلسطينية"، ص315.

وخلاصة القول: صحيحٌ أن مصطلح بني إسرائيل بعد أنْ شابَهُ الاختلاط الواسع بين بني إسرائيل الأولين وممن تهوّدوا من الأوروبيّين قد فقد قيمته التاريخيّة، لكنه بقي محتفظًا بالرمزيّة المعنويّة، ونستدلّ على ذلك أنه ومع مرور القرون ومع اختلاط وامتزاج الشعوب بعضها في بعض؛ فإن بعضها بقيت محتفظة بأسمائها القديمة، مثل: المصريّين والكلدانيّين والفرس ... إلخ، فضلًا عن أنه ليس كل من ينتسب لبني إسرائيل قد يكون من اليهود، بل من الممكن نسب كل من يساندهم من القوى الكبرى، مثل الإنكليز والأمريكيّين الذين ينتسبون للمذهب البروتستانتي، ويؤمنون بالفِكر الصهيوني إيمانًا مطلقًا إلى بني إسرائيل من الناحية الرمزيّة.

المطلب الثاني: الآراء في تفسير حدوث الوعدين الإلهيّين في التاريخ القديم:

بالعودة إلى مسألة الوعدين بالقضاء على الوجود اليهودي في فلسطين، قال تعالى: **{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً}**[15]، أي: حكم الله –سبحانه وتعالى– على بني إسرائيل حكمًا لا رجعة فيه، بعد أن أقام عليهم البينة في كتابهم المقدّس (التوراة) الذي يحتفظون به، وليس في كتابٍ آخر لتوثيق الادّعاء عليهم، فكان هذا الحكم مؤكّدًا بقسم الله، وذلك بوجود اللام في كلمة (لَتُفْسِدُن)، أن يفسدوا في فلسطين بالمعاصي مرّتين ويبغون بغيًا عظيمًا، فهذا القسم في (لَتُفْسِدُن) تأتي جوابًا لكلمة (وقَضَيْنَا) لأن القسم يجئ للتأكيد[16].

وقال تعالى: **{فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ... وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا}**[17].

فالمقصود بمعنى **(فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا... فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ)**، أي: فإذا جاء وعد أولى المرّتين اللتين يفسدون بهما في الأرض، أو إذا جاء وعد أولى تينك المرّتين اللتين قضينا إلى بني إسرائيل. وقوله: **(بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ)**، أي: أرسلنا عليكم عبادًا لله ذوي بطشٍ في الحروب شديد. وقوله: **(فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ)**، أي: تردّدوا بين الدور والمساكن وذهبوا وجاؤوا، يقال فيه: جاس القوم بين الديار وحاسوا بمعنى واحد، وجست أنا أجوس جوسًا وجوسانًا. (فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ)، أي: مشوا، وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة، يقول: معنى (جاسوا): قتلوا، ويستشهد لقوله ذلك ببيت حسّان بن ثابت:

وَمِنَّا الَّذِي لاقى بسَيْفِ مُحَمَّدٍ

فَجاسَ بِهِ الأعْدَاءَ عُرْضَ العَساكِرِ

وجائز أن يكون معناه: فجاسوا خلال الديار فقتلوهم ذاهبين وجائين، فيصحّ التأويلان جميعًا. **(وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولًا)**، أي: كان جوس القوم الذين نبعث عليهم خلال ديارهم وعدًا صادقًا من الله لا بدَّ أن يتحقق؛ لأنه لا يخلف الميعاد[18].

وذهب عددٌ من الباحثين عند حديثهم عن الوعد إلى أن مرّتي إفساد بني إسرائيل قد حدثا فعلًا قبل ظهور الإسلام، وفي ذلك يقول الشيخ (محمد سيّد طنطاوي): إن المفسّرين تحدّثوا عن مرّتي الإفساد اللتين أخبر الله بهما في سورة الإسراء، وعن عباد الله الأشدّاء المسلطين عليهم في كل مرّة، فانعقد إجماع القدماء على مضي الإفسادين والعقابين معًا في أزمنة ما قبل الإسلام من تاريخ بني إسرائيل، ثمَّ اختلفوا في تعيين

[15]- سورة الإسراء: الآية: 4.
[16]- الشعراوي (1991)، تفسير الشعراوي، ج14، ص8343-8346.
[17]- سورة الإسراء: الآية: 5.
[18]- الطبري (1420ه / 2000م)، جامع البيان في تأويل القرآن، مج 17، ص365-366.

مرّتي إفساد بني إسرائيل، وتحديد المعنيّين بالعباد أولي البأس الشديد الذين سُلطوا عليهم في المرّتين. وقد استقصى الشيخ (طنطاوي) أقوال المفسّرين في الموضوع، وخلُص إلى أن الذي يراجع ما كتبه المفسّرون عن هذه الآيات التي وردت في سورة الإسراء يجد أنهم متفقون على أمرين، **الأول:** أن مرّتي إفساد بني إسرائيل في الأرض كانتا قبل الإسلام، **والثاني:** أن العباد الذين سلطهم الله عليهم ليذلوهم عقب إفسادهم الأول والثاني كانوا أيضًا قبل الإسلام [19].

وقد اختلف المفسّرون والمعاصرون فيمن أُطلق عليهم (عباد الله) الذين قضوا على الإفساد الأول لبني إسرائيل، فذهب بعضهم إلى أن الذين قضوا على هذا الإفساد هم الفلسطينيّون (أقوام البحر) الذين سكنوا الساحل الفلسطيني من حيفا إلى غزة بواسطة قائدهم (جالوت)، فقتلوهم وسبوا أولادهم وخرّبوا مدينة القدس[20]. وهؤلاء الفلسطينيّون غير الكنعانيّين أصحاب البلاد الأصليّين، لكن هذا الرأي يسقط أمام الحقائق التاريخيّة التي أثبتت بالدليل القاطع أنّ الفلسطينيّين الساحليّين لم يكن لهم وجودٌ يومًا ما في مدينة القدس، كما ثبت أيضًا أن بني إسرائيل في هذه الحقبة الزمنيّة لم يستولوا عليها. وثبت بالدليل الذي لا لبس فيه أيضًا أنّ أول وجود لبني إسرائيل في هذه المدينة، كان بعد السبي البابلي بعد أن تغيّر اسمهم إلى اليهود في زمن الملك الفارسي (ارتحششتا الأول)[21].

بينما يرى البعض أن القضاء على هذا الإفساد تمَّ على يد الملك البابلي (نبوخذ نصّر) الذي قضى على حكمهم في فلسطين، واستولى منهم على مدينة القدس، وخرّب معبدهم الذي كانوا يتعبّدون فيه. غير أن هذا الرأي لا يمكن القبول به؛ لأن هذا الملك عندما هزم بني إسرائيل لم تكن مدينة القدس وقتذاك تحت سلطتهم، بل كانت تحت سلطة سكّانها الأصليّين من الكنعانيّين[22].

وثمة من رأى أن من قضى على إفساد اليهود الأول هم الرومان الذين دمّروا مدينة القدس تمامًا، وطمسوا معالم مبانيها بِما في ذلك معبدهم الذي بناه الملك اليهودي (هيرودوس الكبير) الذي وُلِد السيد المسيح في عهده، وقضوا تمامًا على الوجود اليهودي في فلسطين بعد قتلهم للنبي (يحيى) –عليه السلام– وذلك في عام 135م[23].

على أن نظم الآيات يأبى أن يكون القوم المسلطون عليهم في المرّة الثانية غير المسلطين عليهم في الأولى، فقوله تعالى: **{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا... ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ}**[24]، يدلّ على أن الحرب كانت سجالًا بين بني إسرائيل وهؤلاء القوم، حيث غلبهم القوم في المرّة الأولى، ثمَّ أعاد الله الكرّة لبني إسرائيل على القوم ونصرهم عليهم، ثمَّ عاد القوم في المرّة الثانية ليسوؤوا وجوه بني إسرائيل، وقوله تعالى: **{وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ}** [25]، واضحٌ في أن من دخلوا المسجد أول مرّة هم أنفسهم من دخله في الثانية؛

19- طنطاوي (2000)، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص672-673.
20 - انظر: المرجع السابق، ص667-668؛ الطبري (1420ه / 2000م)، جامع البيان في تأويل القرآن، مج 17، ص366.
21- سوسة (1978)، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص151-154؛ إبراهيم (1994)، وعد التوراة من أبرام إلى هرتزل، ص154، 157–158؛ عزرا 12/7؛ عزرا 25/7-26؛ نحميا: 6.

22- الطبري (1420ه / 2000م)، جامع البيان في تأويل القرآن، مج 17، ص357؛ ولمزيد من التفاصيل، انظر: أبو نحل؛ مخيمر (2008)، تاريخ فلسطين القديم، الفصل السادس.
23- لمزيد من التفاصيل، انظر: أبو نحل؛ مخيمر (2008)، تاريخ فلسطين القديم، الفصل التاسع.
24- سورة الإسراء، الآيات: 5-6.
25- سورة الإسراء، 7.

لذلك نجد هنا فجوة تدفعنا للتفكير في التباين بين القومينِ اللذينِ عملا القضاء على إفسادي بني إسرائيل، وبذلك فجميع الآراء السابقة تذهب إلى أن من قضوا على الإفساد الأول يختلفون عمّن قضوا على الإفساد الثاني.

وبعد تأييد الشيخ (طنطاوي) لرأي المفسّرين القدامى في إجماعهم على أن مرّتي العلو والإفساد قد وقعتا فعلًا، يرى أن تلك القصّة أوردها القرآن الكريم فقط لأخذ العظة، ولربط المسلمين بتاريخ الأمم السابقة كغيرها من قصص بني إسرائيل في القرآن. أمَّا من يرون أن العلو الثاني لبني إسرائيل عند البعض أو حتى العلو الأول عند البعض الآخر؛ لأن دولة لليهود موجودة اليوم باسم دولة (إسرائيل)، تمكّنت من إلحاق الهزيمة بالمسلمين؛ فهؤلاء يواجهون مشكلة لأنهم يعتقدون أن يهود اليوم هم حفدة بني إسرائيل[26].

لكن هذا الرأي بالإمكان الردّ عليه، **أولًا:** إن تأييد ما ذهب إليه المفسّرون القدامى على أن مرّتي العلو والإفساد المذكورتين قد وقعتا فعلًا، وأن تلك القصّة أوردها القرآن الكريم فقط لأخذ العظة فيه تقليلٌ من قيمة الحدث الإلهي؛ فإذا كانت الحوادث التاريخيّة قد أكّدت بِما لا يدعو مجالًا للشكِّ استحالة حدوث مرّتي الوعد في التاريخ القديم؛ لأن بني إسرائيل لم يكونوا يمتلكون القوّة العسكريّة التي تؤهّلهم للعلو على أقوامٍ أخرى، بعد أن ثبت أنهم على مدار تاريخهم كانوا يدورون في فلك الشعوب التي جاورتهم.

وثانيًا: إن القول بعدم صحة الاعتقاد بأن العلو الثاني لبني إسرائيل عند البعض، أو العلو الأول عند البعض الآخر، ما يتحقق في تاريخنا المعاصر بإنشاء دولة (إسرائيل)، وذلك لعدم إمكانيّة أن يكون اليهود الحاليّين هم حفدة بني إسرائيل. فمع أن الدارس المتخصص في تاريخ اليهود يُدرك أن بني إسرائيل بصفتهم سلالة بشريّة قد انقرض معظمها في أثناء السبْيَين: الآشوري والبابلي؛ إذْ اتبع الآشوريّون مع سباياهم من بني إسرائيل سياسة الإبدال والإحلال، فأحلّوا قومًا من السامريّين مكانهم وتهوّدوا لاحقًا لكنهم اختلفوا في أسلوب العبادة عن اليهود الآخرين الذين اتبعوا ديانة (عزرا)، في حين عمد الآشوريّون إلى تشتيت سبايا بني إسرائيل في مناطقَ متفرّقةٍ من دولتهم ومناطق نفوذهم[27]، لكن ذلك لا يعني نفي صفة بني إسرائيل على من يعلو اليوم، فكما أوضحت سابقًا أن الدعم اللامحدود الذي يقدّمه البروتستانت لليهود يجعلنا ننسبهم إليهم من الناحية الرمزيّة، بلْ من الممكن أنْ نعدّهم يهودًا لا سيما أنهم يؤمنون إيمانًا شبه تام بِما يؤمن به اليهود من أفكارٍ هدّامة.

المطلب الثالث: الآراء في تفسير الوعد الإلهي بالقضاء على الإفساد الأول لبني إسرائيل في صدر الإسلام:

مع أن بني إسرائيل أفسدوا مرّات عدّة لا تحصىَ ولا مجال لذكرها، مثل: عبادتهم العجل مع وجود نبيّهم (موسى) بينهم، وتحريفهم الكتاب (التوراة) الذي أُنزل عليه، وقتلهم لأنبيائهم، لكن النصّ القرآني هنا أتى بالإفساد مرّتين تحديدًا وليس أكثر؛ لذلك رأى كل من الشيخين (محمد متولي الشعراوي) و(عبد المعز عبد الستّار) أن المتأمّل لسورة الإسراء يجدها قد ربطتهم بالإسلام وليس قبله، فالواضح أن المراد بالمرّتين أحداثٌ حدثت منهم في وجود الإسلام، فالله –سبحانه

[26]- طنطاوي (2000)، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص679.

[27]- أنظر: أبو نحل؛ مخيمر (2008)، تاريخ فلسطين القديم، الفصل السادس

وتعالى –بعد أن ذكر الإسراء ذكر قصّة بني إسرائيل، دلَّ ذلك على أن الإسلام تعدّى إلى مناطق مقدّساتهم، فأصبح بيت المقدس قِبلةً للمسلمين، ثمَّ أُسرى بالنبي –عليه الصلاة والسلام –إليه، وبذلك دخل في حوزة الإسلام؛ لأنه جاء مهيمنًا على الشرائع السابقة وجاء للناس كافة. وذهب الشيخانِ إلى أنّ الإفساد الأول في الإسلام كان بعد أن أبرم معهم النبي معاهدة يتعايشون بموجبها، لكنهم غدروا بالمسلمين، واعتدوا على حرماتهم وأعراضهم، فجاس النبي وأصحابه خلال ديارهم وقتل منهم من قتل، وأجلاهم عن المدينة المنوّرة إلى الشام وإلى خيبر[28]، مستشهدين بقوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}**[29].

واستدلَّ الشيخ (الشعراوي) على ذلك بقوله تعالى: **{فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا}** [30]؛ لأن (إذا) ظرف لِما يستقبل من الزمان، فكان ذلك دليلًا على أن أُولى الإفسادين لم تحدث بعد، ولأن الوعد كذلك لا يكون بشيءٍ مضى وإنما بشيءٍ مستقبل، و**(أُولاهُمَا)**، أي: الإفساد الأول، وقوله: **{بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا}** دليلٌ آخر على أن الإفسادين كانا في حضن الإسلام؛ فكلمة **(عبادًا)** لا تُطلق إلَّا على المؤمنين، أمّا (جالوت) و(نبوخذ نصّر) فهما وثنيّان، ويستدلُّ كذلك على أن عباد الله هم قومٌ مؤمنون بقوله تعالى في نقاشه لإبليس: **{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}**[31]. ويرى بأن كلمة (عباد) و(عبيد) كلاهما جمع ومفردهما واحد (عبد)، فلا فرق بينهما[32].

وفي الواقع إذا ما تتبعنا غزوة بني النضير الذي قادها النبي وصحابته في شهر ربيع الأول من العام (الرابع) للهجرة نجدها قد استمرت (ست) ليالٍ فقط، وهذا الحدث على أهميّته لا يمكن أن نعدّه حدثًا كبيرًا في حجم الوعد الإلهي المذكور في سورة الإسراء؛ فالوجود اليهودي في المدينة المنوّرة كان مستقرًّا إلى حدٍّ بعيد، ولم تكن هنالك معارك حربيّة ذات قيمة تُذكر بين اليهود وسكّانها من العرب لا قبل الإسلام ولا بعده، وكل ما في الأمر أن اليهود بعد استقرار النبي بالمدينة حاولوا قتله، فلا يعقل بشكلٍ من الأشكال أن نعُدَّ هذه الحرب الخاطفة ضمن سياق الوعد الإلهي بالقضاء على اليهود، بدليل أنه كانت لهم بقايا في خيبر حتى طردهم منها الخليفة (عمر بن الخطّاب) في عام (13) للهجرة. وبالعودة إلى ربط الشيخ (الشعراوي) بين قضاء النبي وصحابته على الوجود اليهودي في المدينة المنوّرة واستيلاء المسلمين على المسجد الأقصى في عهد الخليفة (عمر)، نرى انعدام أيّ رابطٍ تاريخيّ بينهما فكلاهما حدثان منفصلان في سياقين مختلفين.

[28]- الشعراوي (1991)، تفسير الشعراوي، ص8348-8352؛ عبد الستار (جمادى الآخرة 1376ه)، "سورة الإسراء تقُصُّ نهاية بني إسرائيل"، ص689.
[29]- سورة الحشر، الآية: 2.
[30]- سورة الإسراء: الآية: 5.
[31]- سورة الحجر، الآية: 42.
[32]- الشعراوي (1991)، تفسير الشعراوي، ص8352-8353، 8355.

المبحث الثاني
الآراء في الوعد الإلهي الثاني بالقضاء على الوجود اليهودي في التاريخ المعاصر

تمهيد:

مع التقدير الكامل لآراء المتقدّمين من المفسّرين إلاّ أنّ آراءَهم ليست قدرًا محتومًا مطلوبًا من المعاصرين اعتمادها وعدم الخوض فيها، حيث وضع الباحث في حسابه أن ما اطلع عليه من آراء فيها –على ما يبدو– شبهة الإسرائيليّات التي اعتمد عليها بعض المفسّرين في تفسيرهم للآيات القرآنيّة. فعلى سبيل المثال لا الحصر من قرأ أمّات المصادر التاريخيّة لعلماء أجلّاء، مثل (محمد بن جرير الطبري) في كتابه: (تاريخ الأمم والملوك) المعروف بتاريخ الطبري، و(أبي الحسن المسعودي) في كتابه: (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وغيرها من أمّات المصادر التاريخيّة، يجد أنها اعتمدت الإسرائيليّات في تفسيرها لبعض الأحداث التاريخيّة، ومنها نشأة الكون معتمدةً على ما ورد في التوراة.

ومن نافلة القول: إن المسلمين بعد انهيار السلطنة العثمانيّة في الربع الأول من القرن (العشرين) كآخر دولة إسلاميّة مركزيّة، أصاب المسلمين الضعفُ والتفكك، وتفرّقوا إلى دولٍ متنازعة بعد أن رسّخ المستعمرون الأوروبيّون حدودها القُطريّة، وتخلّوا عن شرع الله، وذهبت شوكتهم؛ مِمَّا أتاح لليهود الذين كانوا يعيشون في معازلٍ شتّى حول العالم– الفرصة، ليكون لهم دولةٌ خاصّة بهم تلمُّ شتاتهم المتناثر هنا وهنالك، فساعدتهم القوى الاستعماريّة الغربيّة كافة في تحقيق هدفهم، وشرعوا يتقاطرون إلى فلسطين من كلِّ فجٍّ عميق ابتداءً من الربع الأخير من القرن (التاسع عشر) بعد نشأة الفكر الصهيوني بين يهود أوروبا الشرقيّة، حتى تمكّنوا من إنشاء دولة لهم في فلسطين عام 1948م، ليبدأ علوهم وإفسادهم بعد أن طردوا سكّانها الأصليّين من ديارهم وتشتيتهم في غير بلد، ثمَّ نجحوا بالاستيلاء على المسجد الأقصى وضمّه إلى حوزتهم في عام 1967، لتبدأ مرحلة علوهم الكبير سواء أكان العلو الأول لهم أم الثاني كما سنحاول بيانه.

المطلب الأول: الآراء في تفسير الوعد الإلهي بالقضاء على الإفساد الثاني

يبدأ العلو والإفساد الثاني بقوله تعالى: **{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا. إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا، فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا}**[33].

في ذلك يرى الشيخ (الشعراوي)، أننا نعيش حاليًّا زمن الإفساد الثاني لليهود بعد أن سلطهم الله على المسلمين جزاء تخلّيهم عن شرع الله واحتكامهم للقوانين الوضعيّة، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: **{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ...}**. و(ثُمَّ) حرف عطف يفيد الترتيب مع التراخي، على خلاف (الفاء) التي تفيد الترتيب مع التعقيب. فلم يقل سبحانه وتعالى: (فرددنا)؛ بل **(ثُمَّ رَدَدْنَا)**؛ لأن بين الكرّة الأولى التي كانت للمسلمين في عهد الرسول الكريم وبين هذه الكرّة التي كانت لليهود وقتًا طويلًا. ومن وجهة نظره أنه لم يحدث بين المسلمين واليهود حروبٌ لقرونٍ عدّة منذ العصر النبوي إلى تاريخ صدور (تصريح بلفور) عام 1917م، حيث تمَّ منح اليهود حقُّ إقامة وطن قوميٍّ

[33]- سورة الإسراء، الآيات: 6-7.

في فلسطين، وكانت الكرّة لهم على المسلمين في عام 1967م باستيلائهم على المسجد الأقصى، فناسب العطف بـ (ثمَّ) التي تفيد التراخي، و(الكرّة)، أي: الغلبة من الكرِّ والفرُّ الذي يقوم به الجندي في القتال، حيث يُقدِم مرّة ويتراجع أخرى، وقوله تعالى: **{وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا}**. وفعلًا أمدّهم الله بالمال والوسائل الاقتصاديّة المختلفة حتى امتلكوا رأس المال العالمي، وأمدّهم بالبنين الذين جلبوا من كل أصقاع المعمورة، فأصبحت دولتهم من أكثر دول العالم تقدّمًا ورقيًّا. ولكن كل هذا لا يعطيهم القدرة على أن تكون لهم كرَّة على المسلمين؛ لأنهم في ذاتهم ضعفاء مع ما يمتلكون من مالٍ وبنين، ولكي تقوم لهم قائمة لا بدَّ من مساندة أنصارهم وأتباعهم من الدول الأخرى، وهذا معنى قوله تعالى: **{وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا}**؛ فالنفير من يستنفره الإنسان لينصره، والمراد هنا الدول الكبرى التي ساندت اليهود.

وبصرف النظر عمّا إذا كان الحديث هنا عن الوعد الأول أو الثاني، فإن تحليل الشيخ (الشعراوي) لقوله تعالى: **{وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا}**[34] يُعدُّ صحيحًا من الناحية التاريخيّة؛ إذ نجد أن أول من ساند اليهود في مساعيهم لإقامة وطن قوميّ لهم فلسطين، كانوا الإنكليز الذين يعتنقون المذهب النصراني البروتستانتي الذي يؤمن بأن عودة السيّد المسيح إلى الأرض لن تتم إلَّا بعد عودة اليهود إلى فلسطين من جهة، وإعادة بناء الهيكل المزعوم من جهةٍ أخرى، ولأن أول اعتناق للفِكر الصهيوني كان بين أتباع هذا المذهب في إنكلترا في القرن (السابع عشر) قبل اعتناقه رسميًّا بين اليهود في القرن (التاسع عشر)، كما عمد الإنكليز في منتصف القرن (التاسع عشر) إلى فرض حمايتهم لليهود في فلسطين مع أنها كانت تحت السيادة العثمانيّة. ومنذ مطلع القرن (العشرين) أخذوا على عاتقهم مهمّة مساعدة اليهود في إقامة وطن قوميّ في فلسطين، ثمَّ أخذت حكومات الولايات المتحدة المتعاقبة ذات التأثير البروتستانتي الكبير – ولا زالت –على عاتقها تقديم الدعم السياسي والعسكري لليهود حتى اليوم. لذلك ومن باب الاجتهاد، يمكن اعتبار الأوساط البروتستانتيّة المتطرِّفة في إنكلترا وأتباعها الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة، بمنزلة أتباع لليهود وجزءٍ لا يتجزأ منهم ومن مشروعهم الكولونيالي الاستيطاني؛ إذ يعُدُّ أتباع الصهيونيّة المسيحيّة أنفسهم مدافعين عن الشعب اليهودي.

وبشّر الشيخ (الشعراوي) أن المسلمين ينتظرون في وقتنا الحالي وعد الله، ويعيشون على أمل أن تنصلح أحوالهم ويعودون إلى ساحة ربهم، وعندها سينجز لهم ما وعدهم من استرداد المسجد الأقصى مرّة أخرى، وتكون لهم الكرّة الأخيرة عليهم التي هي وعدٌ آتٍ لا شكّ فيه[35].

ثمَّ تواردت أقوال الباحثين المعاصرين على أنّ الإفساد الثاني لبني إسرائيل هو ما نعيشه حاليًّا من الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، فعمل بعضهم على عدم الأخذ بإجماع المفسّرين الذي سبق بيانه، فعلل كلٌّ من الشيخ (بشّام جرّار) الذي اعتمد على الأرقام في تفسيره، و(محمد هلال) أن هؤلاء المفسّرين لم يكن يدور بخلد أحدهم أن يعود لليهود دولة في الأرض المقدّسة؛ لأن الدول الإسلاميّة الكبرى مثل: الخلافة الأمويّة والخلافة العباسيّة والسلطنة العثمانيّة، كانت كل واحدة منها أعظم دولة في عصرها؛ لذا لم يَدُر ببال أيّ مفسّر أن المرّة الثانية للإفساد لم تأتِ بعد، وإن خطر ذلك بباله

[34]- سورة الإسراء، الآية: 6.م

[35]- الشعراوي (1991)، تفسير الشعراوي، ج14، ص8366.

فهل ستقبل عاطفته أن يخُطَّ قلمه مثل هذه النبوءة التي تتحدّث عن سقوط مدينة القدس في أيدي اليهود المشرّدين والمستضعفين؟ لذلك ذهب المفسّرون القدماء إلى القول بأن النبوءة التوراتيّة قد تحققت بشقيها قبل الإسلام بقرون [36].

وكذلك يميل الدكتور (محمد المجذوب) إلى اعتبار إحدى هذين الوعدين اللذين وردا في سورة الإسراء هي التي نعاصرها الآن ونعيش مآسيها، بسبب علو وإفساد اليهود في فلسطين بِما لم يبلغوه قط قبل قيام دولتهم؛ إذ أصبح لهم كيانٌ مزودٌ بكل وسائل التدمير والإرهاب والاستعلاء. واستغرب (المجذوب) إغفال الكثير من المفسّرين ربط ما جاء في قوله تعالى: **{وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا}**[37]، بِما ورد في قوله تعالى: **{فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ}**[38] وما سبقها في أول السورة لأنهما يستهدفان الغرض الواحد، بحيث جاءت الثانية تكرارًا مؤكِّدًا للأولى في كون (الآخرة) في كلتيهما واحدة هي ثانية المرّتين، وأن الذين ذهبوا بمعنى (الآخرة) إلى مقابلة الدنيا ليس لديهم سند من أثرٍ أو وحي. ويشير إلى أن قوله تعالى: **{جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا}** إيذانًا قاطعًا بأن اليهود سيساقون بتقديرٍ مُحكمٍ من مختلف أنحاء المعمورة إلى مكانٍ معيّن، وفي التعبير بـ (لفيف) توكيد لذلك؛ إذ يشير بصراحة إلى تجميعهم أثر حصول الإفساد الثاني[39].

المطلب الثاني: الآراء في تفسير الوعد الإلهي بالقضاء على الإفساد الثاني في آخر الزمان

يرى الدكتور (مصطفى مُسلِم) أن بدايات المرّة الثانية لإفساد بني إسرائيل كانت منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسريّة عام 1897م، وأعلن فيه (تيودور هرتزل) وضع اللبنة الأولى لإنشاء دولة اليهود، ومنذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا وعلو اليهود في تزايدٍ مستمر[40]. ويصل إلى استنتاجٍ بأن مستقبل الصراع بينهم والمسلمين يتصل بظهور المسيح الدجّال وتتويجه ملكًا لليهود، ونزول (عيسى) –عليه السلام– ليقضي عليه وعلى أتباعه، ما يعني أن الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين سيستمر إلى أن تبدأ أشراط الساعة الكبرى في الظهور. وقد استنتج (مُسلم) أن أبناء الصحوة الإسلاميّة في العالم الإسلامي، سوف يتعرّضون لابتلاءٍ شديدٍ وفقًا لسُنّة الله في ابتلاء من يدّعي الإيمان، ثمَّ يُمكّن الله المخلصين منهم في رقعةٍ من الأرض ليقيموا عليها حكم الله، ومن بين صفوف هؤلاء ستنطلق كتائب جند الله إلى اليهود لتقع الملحمة الكبرى، وينزل السيّد المسيح ليكون في طليعة هذه الكتائب وقائدها في المعركة الفاصلة في باب اللد بفلسطين [41].

ولا يذهب الدكتور (طارق السويدان) بعيدًا في اجتهاده عن اجتهاد (مُسلِم) مع تغييرٍ طفيف في ما توصّل إليه الأخير من استنتاج؛ فنراه في تفسيره لمرّتي الإفساد في الآيات لم يأخذ فيه بإجماع الأقدمين ولا برأي المعاصرين، لكن رأيه يُفضي إلى الاستنتاج نفسه من الآثار المتوقّعة لتفسير المعاصرين؛ إذ قرر بناءً على قوله تعالى: **{وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا}** [42]، والأحاديث النبويّة عن ظهور المسيح الدجّال وقتال المسلمين لليهود، أن الحرب بينهما ستستمر سجالًا في فلسطين

36- جرار (1993)، زوال إسرائيل 2022 نبوءة قرآنية أم صدف رقمية؟، ص20-21؛ هلال (1997)، الإسراء وإسرائيل، ص.34..
37- سورة الإسراء، الآية: 104.
38- سورة الإسراء، الآية: 7.
39- المجذوب (1973)، "دروس من الإسراء"، ص29-30.
40- مسلم (1999)، معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، ص204.
41- المرجع السابق، ص210.
42- سورة الإسراء، الآية: 8.

إلى أن ينزل السيّد المسيح. وقد لخّص رأيه هذا بأن المرّة الأولى للإفساد هي التي نعيشها في يومنا هذا وهي العلو الأول، وسيأتي على دولة اليهود هذه عبادٌ لله يُخرجُونهم من فلسطين، غير أن اليهود سيتجمّعون من جديد وتنصرهم القوى المؤيّدة لهم ويمدونهم بالأموال والسلاح، وكذلك اليهود المنتشرون في أصقاع المعمورة، فيكونون أكثر نفيرًا بالنصرة العالميّة لهم، فينتصرون على المسلمين، وبعدها يأتي وعد الآخرة، أي: المرّة الثانية التي سيتغلّب فيها المسلمون نهائيًّا على اليهود ويخرجونهم إلى غير رجعة من الأرض المقدّسة، ويظلُّ الأمر كذلك إلى حين خروج المسيح الدجّال الذي يؤيّده اليهود آنذاك، فيسيطر على الأرض ومنها فلسطين، وتكون نهايته على يد السيّد المسيح في مدينة اللد قبيل قيام الساعة[43].

وبناءً على ما سبق، فإن (مُسلم) يرى أن علو وإفساد اليهود الثاني– وهو الحالي– سيستمر حتى تاريخ نزول السيّد المسيح إلى الأرض وقتاله للمسيح الدجّال واليهود معًا، في حين يؤيّد (السويدان) أن حصول العلو والإفساد الأول لليهود ما نراه واقعًا في يومنا هذا، لكنه يذهب إلى أن اليهود سيعيدون الكرّة من جديد مستقبلًا على المسلمين، ليبدأ العلو الثاني الذي سينتهي في آخر الزمان بنزول السيّد المسيح.

المبحث الثالث

قراءة جديدة في الوعد الإلهي الأول بالقضاء على العلو اليهودي في التاريخ المعاصر

المطلب الأول: المؤتمر الصهيوني الأول وبداية العلو الأول لليهود:

بات معروفًا أن الصهيونيّة حركة بدأت مسيرتها منذ ما ينوف عن (الأربعة) قرون في أوروبا، مع نشأة المذهب البروتستانتي في القرن (السابع عشر) الذي فرض تفسيرًا لبعض نصوص العهد القديم، وكان هذا التفسير يقوم على التزام بعض النبوءات المزعومة في العهد القديم التي تؤسس للاستيلاء على فلسطين تحت زعم أنها أرض الميعاد. وبناءً عليه التزمت البروتستانتيّة بالعهد القديم، فنشأت الصهيونيّة في وقتٍ مبكّرٍ في كنفها، ومن وقتها بدأ زعماء إنكلترا يرددون مقولة: فلسطين أرضٌ بلا شعب لشعبٍ بلا أرض، ثمَّ بدأت هذه الاتجاهات بالنمو والتبلور في إنكلترا والعالم الجديد الذي انبثق عنه الولايات المتحدة الأمريكية، وفي كلِّ مكانٍ انتشر فيه البروتستانت. أمّا عن الولايات المتحدة فإن مسار الصهيونيّة غير اليهوديّة فيها، لم يسر في الاتجاه نفسه، بل التزم الأمريكيّون بخطواتٍ عمليّة في إطار الغزو الاستيطاني في فلسطين في القرن (التاسع عشر)، والواضح أن رؤساء الولايات المتحدة كانوا على علمٍ مسبق بهذه المشاريع وموافقين عليها، وأضحت هذه السياسة ركيزة مهمّة من ركائز الحكومات الأمريكيّة المتعاقبة، وهذا ما يدفع الباحث للتأكيد على أن البروتستانت لم يكونوا مجرّد داعمين لحقِّ اليهود باستيطان فلسطين، بل إن هواهم كان يهوديًّا دون أن يكونوا يهودًا بالنسب والعِرق.

ويبدو أنه في القرن (الثامن عشر) كان لانتشار الحركات الليبراليّة في أوروبا الأثر البالغ في شعور اليهود بقوميّتهم، فأسهمت في إيقاظ شعورهم القومي بإقامة كيانٍ يجمع شتاتهم، فتبلورت فِكرة إنشاء حركة صهيونيّة بين اليهود تعود للظروف والملابسات التي واكبت حياتهم في روسيا ودول أوروبا الشرقيّة، من تعرُّضهم لموجاتٍ من الاضطهاد والتمييز في بلدانهم،

[43]- السويدان (2004)، فلسطين: التاريخ المصور، ص421-422.

بسبب تدخُّلهم في الشؤون الداخليّة لتلك البلدان، ممّا جعل السلطات الحاكمة فيها تلجيمهم وتقييد حريتهم، ودفعهم إلى مغادرة هذه البلدان إلى دولٍ أخرى كالولايات المتحدة وفلسطين[44].

ودون الخوض في التفاصيل التاريخيّة، فإن نشأة الصهيونيّة اليهوديّة بدأت إرهاصاتها مع بداية هجرة يهود روسيا ودول أوروبا الشرقيّة إلى فلسطين في العقد (الثامن) من القرن (التاسع عشر)، وليس مع ما قام به (هرتزل) بعد ذلك عام 1897م؛ فالمشاكل التي واجهت اليهود في أوطانهم الأصليّة هي التي دعتهم للانتماء إلى جمعيّاتٍ صهيونيّة كان لها دورٌ بارز في مساعدتهم على الهجرة. أمّا (هرتزل) فكان دوره بعد ذلك تسييس الجمعيّات الصهيونيّة ولم شملها في مؤسسة إداريّة واحدة تحمل اسم المنظّمة الصهيونيّة العالميّة، فذابت تلك الجمعيّات بمسمّياتها داخلها، ومن ثمَّ ارتباطها بشخصيّته، فعُدَّ الداعي الأول للفِكر الصهيوني الحديث والمعاصر[45].

ومع ظهور (هرتزل) بدأت جهوده تؤتي أُكلها مع نهاية القرن (التاسع عشر)، بنجاحه عقد المؤتمر الصهيوني الأول بمدينة بازل السويسرية عام 1897م الذي يُعدَّ اللبنة الأولى في إنشاء الدولة اليهوديّة في فلسطين. وقد نجح أقطاب الحركة الصهيونيّة بعد وفاته في الإعداد الجيّد لترسيخ فِكرة الدولة بين يهود العالم، وتمكّنوا في نهاية المطاف من إنشاء دولة (إسرائيل) على أرض فلسطين الانتدابيّة بمساعدةٍ بريطانيّة وأمريكيّة عام 1948؛ لذلك فإنه يُعدَّ المؤسس الحقيقي الدولة اليهوديّة في فلسطين، وليبدأ معه العلو الأول لليهود في التاريخ الحديث والمعاصر.

وترتّب على إعلان قيام دولة (إسرائيل) في عام 1948م، طرد الفلسطينيّين من مدنهم وقراهم، فتناثرت جموعهم حول العالم، ولم يمضِ طويلًا حتى تمكّنت الدولة الوليدة من التمدد في المنطقة العربيّة فاحتلّت في عام 1967م ما تبقّى من فلسطين، إضافةً إلى بعض المناطق العربيّة. ثمَّ كان التوجه المصري نحو الحلّ السلمي مع (إسرائيل) في عام 1977م ممّا زاد من وتيرة التفكك العربي، فاقتنصت (إسرائيل) الفرصة، وقضت على نفوذ منظّمة التحرير في لبنان، وانفرط العقد العربي وبدأ التوجّه نحو التسويات السلميّة مع (إسرائيل)، فوقّعت معها منظّمة التحرير اتفاق إعلان المبادئ (اتفاق أوسلو) في عام 1993م، ولحقتها الأردن في العام التالي ووقّعت معها معاهدة سلام، ولم يلبث أن شرعت دولٌ عربيّة عدّة في إقامة علاقاتٍ بها ممّا منحها شرعيّة الوجود في المنطقة العربيّة.

كل ذلك جعل الفلسطينيّين وحيدين في مجابهة التغوُّل الإسرائيلي الذي هدف إلى زيادة وتيرة الاستيطان في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام 1967م، واستكمال حلقات سياسة التهويد لمدينة القدس، ولم يعد بوسع العرب عمل شيء لمنع تلك السياسات التي تُعدُّ علوًّا متعاظمًا لدولة (إسرائيل). ومع ازدياد الإفساد اليهودي بواسطة استشراء وتيرة العنف والإرهاب بحقِّ الشعب الفلسطيني، ومع تنامي عدد الدول العربيّة التي وقّعت اتفاقات تطبيع مع (إسرائيل)، يكون العلو اليهودي في تاريخنا المعاصر قد وصل إلى ذروته، ولا نعتقد بإمكانيّة توسُّعهم أكثر بعلوهم وإفسادهم ممَّا وصلوا إليه.

44- جريس (1977)، تاريخ الصهيونية (التسلل الصهيوني إلى فلسطين 1862-1917م). ج1، ص13-17.

45- لمزيدٍ من التفاصيل انظر: المرجع السابق، الفصل الثاني.

ولمَّا كانت مدينة القدس، وفي القلب منها المسجد الأقصى، قب الميزان في الصراع بين المسلمين واليهود، فكانت من أهم الأسباب لاندلاع المواجهات بين الفلسطينيّين واليهود، ثمَّ وصلت ذروتها مع اندلاع انتفاضة الأقصى في عام 2000م وما تلاه من أعوام، بسبب محاولات اليهود الحثيثة لتطبيق سياسة الفصل الزماني والمكاني في المسجد الأقصى وتهويده توطئةً لإقامة الهيكل المزعوم مكانه.

المطلب الثاني: بدايات نهاية العلو الأول لليهود في فلسطين:

مع اندلاع معركة طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول (أكتوبر) 2023م، واستمرار الحرب الإسرائيليّة المدمّرة على قطاع غزة حتى تاريخ كتابة هذه السطور، ارتأى الباحث أنه قد آن الأوان لوضع قراءة جديدة لمسألة الوعد الإلهي بالقضاء على الوجود اليهودي في فلسطين، بعد ما تابعناه من أحداثٍ في هذه المعركة تتشابه مجرياتها مع ما ورد في سورة الإسراء: **{فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولًا}**[46]، وذلك بتوضيح النقاط التالية:

أولًا: إن العلو الأول لبني إسرائيل لم يحدث في التاريخ القديم، بل حدث –وما يزال –في التاريخ المعاصر؛ لأن العلو لا يعني فقط مجرّد الاستيلاء على الأرض والهيمنة عليها، بل يلازمه وجود سطوة وهيمنة سياسيّة وعسكريّة واقتصاديّة وإعلاميّة وثقافية. ولا يخفى على أحد المدى الذي وصل إليه اليهود في التحكّم بسياسات كثير من العواصم العربيّة والدوليّة، فمع المتابعة الدقيقة لمجريات أحداث فلسطين، وما يقوم به الاحتلال الإسرائيلي من ممارساتٍ إرهابيّة تفوق الوصف تجاه الشعب الفلسطيني خصوصًا في قطاع غزة من إبادةٍ جماعيّة، نرى مدى التأثير الإسرائيلي في السياسات العربيّة والدوّليّة، فنجد أن معظم الدول العربيّة لا تحرّك ساكنًا تجاه هذه الممارسات، بل أحيانًا تتساوق معها تمامًا وتغضُّ الطرف عنها في نوعٍ من اللامبالاة توحي بالموافقة عليها. ولا يخفى على أحد الدور السلبي الذي تلعبه بعض الدول العربيّة في لهثها وراء التطبيع مع (إسرائيل)، وتقديمها له على المصلحة القوميّة للعرب والمسلمين كافة.

ولا يخفى على أحد أيضًا الهيمنة اليهوديّة على وسائل الاقتصاد والإعلام الدوُّلي، فمعظم المؤسّسات الاقتصاديّة في العالم يمتلكها اليهود الذين يتحكّمون في اقتصاديّات العالم صعودًا وهبوطًا. ويفرضون أسلوب ثقافتهم على عددٍ من شعوب العالم وفي القلب منها بعض الشعوب العربيّة، وما حالة التطبيع والتتبيع التي رضخت بواسطتها بعض الشعوب العربيّة لقبول الرواية الإسرائيليّة بحقِّ اليهود المشروع في فلسطين سوى جزءٍ يسير من الرضوخ الثقافي العربي؛ لتبنّي ما تريد الآلة الإعلاميّة الإسرائيليّة بثّه في الوعي الجمعي العربي. وبالتأكيد لا يخفى على أحد ما وصل إليه اليهود من قوّةٍ عسكريّةٍ مُهابة الجانب عربيًّا إلى حدِّ اعتراف العرب كافة بوهن جيوشهم في مواجهة الجيش الإسرائيلي، مع الإقرار بالعجز العربي في التصدّي للمخطّطات الإسرائيليّة في تهويد مدينة القدس.

ثانيًا: من سياق حديث ثوبان –رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلّى الله عليه وسلم: "**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ**

[46]- سورة الإسراء، الآية: 7.

مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ"[47]، وحديث أَبِي أُمَامَةَ الباهلي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلّى الله عليه وسلم: "**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ، فهم كالإناءِ بين الأكلةِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: "**بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**"[48]، ويدلُّ الحديث المذكور على فضل الطائفة المنصورة الثابتة على الحقّ، ومكان وجودها في بيت المقدس وجوارها، ومن المعلوم أن خير الرباط رباط عسقلان التي تتبع إداريًّا منذ القدم مدينة غزة. وقد وصف النبي هذه الطائفة بصفاتٍ عدّة منها: أنها تقوم على أحكام الله، وكذلك هي فئة مجاهدة مقاتلة **(لعدوهم قاهرين)**، وهم إلى ذلك يلقون عنتًا وأذًى كبيرًا من أعدائهم ومن بني جلدتهم على حدٍّ سواء **(لا يضرّهم من خذلهم** أو **خالفهم)**، والمقصود ببني جلدتهم هنا بعض قومهم من الفلسطينيّين أنفسهم أو من العرب والمسلمين؛ بل إنهم يتلّقون من هؤلاء جميعًا كل خذلان وتواطؤٍ، وهو ما بدا واضحًا خلال معركة طوفان الأقصى.

ثالثًا: ما قامت به المقاومة الفلسطينيّة باجتياح أجزاءٍ من الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة في 7تشرين الأول (أكتوبر) 2023م، فيما عُرف باسم معركة (طوفان الأقصى) تُعدُّ العمليّة الأولى من نوعها منذ احتلال فلسطين عام 1948م؛ إذ تمكّنت المقاومة فيها من تحقيق ما ورد في الآية القرآنيّة: {**فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا**}[49]، والمراد هنا الأراضي المقدّسة المحتلّة. وحسب ما جاء في كل التفاسير، فإن معنى **(فجاسوا خلال الديار)**، أي: مشوا وتردّدوا خلالها وطافوا فيها للغارة والقتل، وما نورده هنا يجعل الباحث يتوثق بأن المقصود بكلمتي **(عبادًا لنا)** إنما هم قومٌ مؤمنون مسلمون أيًّا كانت جنسيّتهم، وليسوا شعوبًا وثنيّة كما في حالة الفلسطينيّين (أقوام البحر) أو البابليّين أو الرومان، وتكون المقاومة الفلسطينيّة المعاصرة بذلك هي أول من عملت الجوس خلال الديار.

رابعًا: قد يقول قائلٌ: وماذا بعد هذا الجوس؟ فالمسجد الأقصى لم يتمَّ تحريره بعد، وأن المقابل كان تدمير الجيش الإسرائيلي معظم قطاع غزة على رؤوس ساكنيه، لكن حتى كتابة هذه السطور ليس بالوسع قبول هذه النتيجة مسلّمات؛ فالمعركة لم تضع أوزارها بعد، وقد مضى عليها نحو (عشرة) أشهر، ما يعني أنها معركة صعبة وطاحنة على الطرفين معًا وليس على طرفٍ واحدٍ منهما. فعملية جوس المقاومة المذكورة أدّت إلى تحطيم معنويات المجتمع الإسرائيلي برمّته، وأشعلت الخلافات العميقة بين مكوّناته، بحيث بات من الصعب أن تندمل في المستقبل القريب، كما هشّمت صورة الجيش الإسرائيلي بوصفه جيشًا لا يُقهر؛ إذ لم يعد بإمكانه سوى تنفيذ الإبادة الجماعيّة بحقّ سكّان قطاع غزة، وتدمير البيوت ودور العبادة والمؤسّسات التعليميّة ... إلخ، في إفسادٍ غير مألوف في التاريخ البشري. وإلى يومنا هذا لم يستطع القضاء على قوّة المقاومة، أو أن يفتَّ من عضدها ممّا قد

[47]- صحيح مسلم (132ه / 1991م)، ج1، كتاب الإيمان، ص1523 (صحيح).

[48]- الطبري (د.ت)، تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار، مسند عمر بن الخطاب، ج2، السفر الأول، ص823.

[49]- سورة الإسراء: الآية: 5.

يؤدّي إلى ازدياد وتيرة هشاشته وهزيمته لاحقًا، بفضل مساعدة قوى المقاومة الإسلاميّة العربيّة الأخرى.

وقد نجحت المقاومة الإسلاميّة اللبنانيّة (حزب الله) منذ اليوم التالي لبدء معركة طوفان الأقصى –ولا تزال –في فرض معادلة حرب استنزاف مدروسة ضدَّ الجيش الإسرائيلي، كلّفت (إسرائيل) خسائر فادحة في النواحي كافة بشريًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا ممّا أدّى لنجاح الحزب في إقامة منطقةٍ عازلةٍ على الحدود اللبنانيّة الإسرائيليّة، لكن هذه المرّة داخل حدود العدو وليس في الأراضي اللبنانيّة. كما نجحت جماعة أنصار الله (الحوثيّون) في اليمن في قصف المدن الإسرائيليّة الجنوبيّة لأول مرّة في تاريخ الصراع، ونجحت كذلك في منع السفن المتجهة إلى الموانئ الإسرائيليّة ممّا أدّى إلى خروج ميناء أم الرشراش (إيلات) عن الخدمة، وتضرر الاقتصاد الإسرائيلي. كما تقوم المقاومة الإسلاميّة العراقيّة بقصف المنشآت والمدن الإسرائيليّة بين الحين والآخر في نوعٍ من مشاغلة العدو، كما تقوم هذه المقاومة بالاشتراك مع الحوثيّين اليمنيّين بقصف الموانئ الإسرائيليّة المطلّة على البحر المتوسط مثل حيفا وأسدود، في سابقةٍ لم نعهدها من قبل.

خامسًا: أثبتت معركة طوفان الأقصى –بِما لا يدع مجالًا للشكِّ– أن (إسرائيل) –ولأول مرّة في تاريخها –لم يعد بإمكانها الاعتماد على قوّتها الذاتيّة في مجابهة أيِّ خطرٍ قد تتعرّض له، حيث هرع الأسطول الأمريكي وحاملات الطائرات الغربيّة إلى قبالة السواحل الإسرائيليّة؛ ليقدّموا الدعم العسكري اللامحدود للجيش الإسرائيلي في حربه ضدَّ المقاومة الفلسطينيّة والعربيّة، فضلًا عن وجود قوّات أمريكيّة على الأرض لمساعدة الإسرائيليّين في المهمّات العسكريّة ذات الطابع الخاص، ولا ننسى الدعم السياسي التي تتلقاه (إسرائيل) من الولايات المتحدة والدول الأوروبيّة في المحافل الدوُليّة المختلفة في محاولةٍ للدفاع عن سياساتها الظالمة بحقِّ الشعب الفلسطيني.

سادسًا: لقد كان من أخطر تداعيات معركة طوفان الأقصى على (إسرائيل)، أنها تعرّضت إلى نوعٍ من الصدمة المروّعة عسكريًّا ومجتمعيًّا لم تألفها من قبل، وسوف تظلُّ تبعاتها وارتداداتها تتردد إلى سنواتٍ عدّة. فقد تعرّض الجيش الإسرائيلي في أثناء المعركة إلى حالة إنهاك لم يشهدها من قبل، وكثُرت حالات الاستقالة والانتحار في صفوفه؛ إذ لم يكن واردًا في حسبان قادته أن تتمكّن حركات مقاومة لا تمتلك الحدَّ الأدنى من مقوّمات الجيش الإسرائيلي من عُدّةٍ وعتاد، أن تصمد في وجهه لشهورٍ طويلة دون القدرة على الحسم وكسب المعركة، في حين اعتاد هذا الجيش على الحروب السريعة والخاطفة مع الجيوش العربيّة. وقد وصل الأمر برئيس الوزراء الإسرائيلي (بنيامين نتنياهو)، في 15 حزيران (يونيو) 2024م إلى القول: "إننا ندفع أثمانًا باهظة تُفطر القلب في الدفاع عن الوطن" (أي إسرائيل)، وهذا يعني إقراره بحجم الخسائر الفادحة التي يتعرّض لها جيشه في هذه المعركة.

سابعًا: إن كل المعطيات توحي بازدياد وتيرة تفكك وشائج المجتمع الإسرائيلي ما بين علمانيّين يتبنّون الفِكر الصهيوني، وأقطاب الأحزاب الدينيّة المتطرِّفة الذين يؤمنون بضرورة زيادة وتيرة الاستيطان في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة، وفوق ذلك يؤمنون بنقاء الجنس اليهودي في كل فلسطين بطرد أبناء الشعب الفلسطيني من أراضيهم. وقد طفت على السطح بصورةٍ ملموسة الخلافات الفِكريّة والأيديولوجيّة بين

المعسكرين، حيث وصلت إلى مراحلٍ متقدّمة من التراشق الإعلامي والشتائم اللاذعة التي قد تصل لاحقًا إلى مرحلة الصدام المباشر بينهما، مصداقًا لقوله تعالي: {... **بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ**}[50].

ثامنًا: لقد بدأت مرحلة الهجرة العكسيّة بين أطياف المجتمع الإسرائيلي بعد استشراء ظاهرة عدم الأمان في مفاصله كافة؛ فالأمن والاستقرار يعدَّان من أهم ركائز وجود دولة (إسرائيل)، ومع انعدام هاتين الركيزتين تفقد الدولة صكَّ شرعيتها من أناسٍ لا يمتّون لعِرقٍ بشريٍّ واحد ومتباينون أيديولوجيًّا؛ لذلك سوف تؤدّي معركة طوفان الأقصى لاحقًا إلى هزيمة الكيان الإسرائيلي عاجلًا أو آجلًا، واسترداد المسجد الأقصى؛ لكي يتمَّ الله وعده ولا نرى ذلك بعيدًا.

تاسعًا: بات واضحًا أن عمليّة القضاء على الوجود اليهودي في فلسطين، سوف يساهم بها قطبي الأمّة الإسلاميّة من أهل الجماعة (السُنّة) والشيعة معًا، وهذا ما نستشفّه من دعم حركات المقاومة الإسلاميّة العربيّة الشيعيّة في لبنان والعراق واليمن للمقاومة الفلسطينيّة السُنّية منذ ما قبل معركة طوفان الأقصى وفي أثنائها، بالإضافة إلى الدعم الإيراني اللامحدود لحركات المقاومة العربيّة بشقيها السُنّي والشيعي في المناحي كافة من عسكريّةٍ وماليّة ولوجستيّة، في تحالفٍ لم نألفه من قبل في التاريخ المعاصر بين قوى عربيّة أو إسلاميّة. وفي المقابل تخلّت الدول العربيّة والإسلاميّة السُنيّة كافة عن دعم حركات المقاومة العربيّة، بل – وممَّا يؤسف له –نجدها تقف موقف المتآمر ضدّها، أو في أحسن الأحوال نجد بعضها يأخذ موقف الوسيط السياسي بين المقاومة الفلسطينيّة وعدوّها في ظاهرةٍ لم نألفها من قبل في كل عصور التاريخ.

ومن باب الاجتهاد الشخصي حيث لا نصّ فقهيٍّ أو تاريخيٍّ، نرى أن المقاومة الفلسطينيّة واللبنانيّة تحديدًا دون غيرهم من بقيّة المسلمين، هم من سيتولّون أمر القضاء على العلو والإفساد اليهودي الأول، بسبب ما يعتري بقيّة العرب والمسلمين من ضعفٍ وخوار من ناحية، وارتهان نخبها السياسيّة بالفلك الأمريكي من ناحيةٍ ثانية، ولإقامتها علاقاتٍ دبلوماسيّة بـ (إسرائيل) من ناحيةٍ ثالثة. ويبدو أن القضاء على العلو الأول لليهود لن يكون تحريرًا كاملًا للأراضي الفلسطينيّة كافة، بل سيحتفظ اليهود ببعض الجيوب فيها سيتمكّنون بواسطتها من إعادة انطلاق علوهم الثاني والأخير.

لكن ذلك لن يكون نهاية المطاف على أية حال، حيث لمس الباحث أن ما حدث في هذا العلو الأول الحاصل الآن عدم تجميع كلّ اليهود في فلسطين، بل لاحظ أن هنالك يهودًا آخرين لا يؤمنون أصلًا بِفكرة إقامة دولة لليهود في زماننا هذا مثل جماعة (ناطوري كارتا)، وهي جماعة أرثوذكسيّة محافظة تنادي بضرورة إزالة دولة (إسرائيل)، وهي ترى أن الله قد عاقب اليهود بإزالة دولتهم قديمًا، وأنه يمكن فقط للمسيح المُخلِّص إعادة إنشاء دولة جديدة لهم؛ لذلك فإن أي محاولة بشريّة لإحياء دولةٍ يهوديّة تُعدُّ معارضة لمشيئة الرب مما سيزيد من معاناة اليهود[51]. وهنالك اليهود السامريّون الذين يعدّون أنفسهم فلسطينيّين لحمًا ودمًا، وأن ثمة أعدادًا كبيرة من اليهود حول العالم تُقدّر بالملايين لا تزال تعيش خارج فلسطين خصوصًا في الولايات المتحدة، وفي ذلك دليلٌ على أن الحاصل

[50]- سورة الحشر، الآية: 14.

[51]- "منظمة ناطوري كارتا اليهودية"، (2009/7/5).

الآن هو بمنزلة العلو الأول لهم في فلسطين ما دام لم يأتِ كل يهود العالم إلى فلسطين، مصداقًا لقوله تعالى: {... **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا**}[52].

المطلب الثالث: استشراف موعد العلو الثاني لليهود في فلسطين:

يبدو أن اليهود سيتمكّنون مستقبلًا من العلو مرّة ثانية في تاريخٍ لا يعلمه إلَّا الله –عزَّ وجل– لكن هذه المرّة سيكون العلو أشدَّ وطأة على المسلمين ممَّا حصل – ولا زال– في العلو الأول؛ لأن المسلمين على ما يبدو سيتعرّضون لنكساتٍ جديدة ستجعلهم يهونون في نظر الأقوام الأخرى، ومنهم اليهود، ولأن اليهود تحديدًا سوف يتمكّنون من ترتيب صفوفهم مجددًا؛ فسوف يحضر كل يهود العالم أو معظمهم في الأقل إلى فلسطين، ويعيدون السيطرة على المسجد الأقصى مصداقًا لقوله تعالى: {**وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا**}[53]، و(لفيفًا) هنا بمعنى: جميعًا. مع التأكيد على مساعدة القوى البروتستانتيّة لهم كما في العلو الأول مما سيُعجّل بحصول الوعد الإلهي الثاني والأخير بدحرهم، ودخول المسلمين المسجد الأقصى مرّةً ثانية بعد هذا الإفساد.

مع ملاحظة أنه لم يأتِ النصُّ القرآني في الوعد الثاني على ذِكر الجوس خلال الديار، كما في الوعد الأول: {... **فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا**}[54]؛ بل ذهب النص القرآني مباشرةً إلى الإساءة لوجوه اليهود. وهنا من باب الاجتهاد فإن عمليّة استرداد المسجد الأقصى في الوعد الثاني ستكون أسرع وتيرةً من عمليّة استرداده في الوعد الأول.

ومن باب الاجتهاد أيضًا، نرى أن موعد القضاء على العلو والإفساد الثاني لليهود وخلافًا لِما ذهب إليه بعض الباحثين، لن يكون بعيدًا كثيرًا عن موعد انتهاء العلو والإفساد الأول، أي: سيكون القضاء على العلو الثاني قبل نزول السّيد المسيح إلى الأرض وقتاله مع المسيح الدجّال واليهود الذين سينضمّون إليه في آخر الزمان؛ إذ يعتقد أن هذه الحادثة لها سياق آخر غير مرتبط بعلو اليهود الثاني الذي سينتهي قبل نزول السيّد المسيح؛ لأن اليهود الذين سينضمّون للدجّال لن يكونوا أصحاب قوّة ومنعة خاصّة بهم، بل سيكونون مجرّد أتباع له بعد فتنتهم به.

نتائج الدراسة وتوصياتها

أولًا: النتائج

توصّلت الدراسة إلى عددٍ من النتائج المهمّة منها:

1. فقد مصطلح بني إسرائيل بعد أن شابَهُ الاختلاط الواسع بين قدماء بني إسرائيل ومن تهوّدوا من الأوروبيّين قيمته التاريخيّة لكنه بقي محتفظًا برمزيّته المعنويّة، وليس بالضرورة أن كل من ينتسب لبني إسرائيل قد يكون من اليهود، بل من الممكن أن يُنسب إليهم من الناحية الرمزيّة كل من يساندهم من القوى الكبرى، مثل الإنكليز والأمريكيّين البروتستانت الذين يؤمنون بالفِكر الصهيوني إيمانًا مطلقًا.
2. ذهب المفسّرون القدماء وبعض الباحثين المعاصرين، مثل الشيخ (طنطاوي) إلى أن مرّتي العلو والإفساد لبني إسرائيل اللذين ذُكرا في سورة

[52]- سورة الإسراء، الآية: 104.
[53]- سورة الإسراء، الآية: 104.
[54]- سورة الإسراء: الآية: 6-7.

الإسراء قد حصلا فعلًا في التاريخ القديم، لكنهم اختلفوا فيمن قضى عليهما مع إجماعهم على أن من فعل ذلك لم يكونوا مسلمين.

3. رأى بعض المعاصرين مثل الشيخ (الشعراوي) أن العلو والإفساد الأول لليهود قد حصل فعلًا في عهد النبي الكريم بعد أن قضى على وجودهم في المدينة المنوّرة، وبعد استيلاء الخليفة (عمر بن الخطّاب) على المسجد الأقصى، غير أن كليهما حدثان منفصلان في سياقين مختلفين.
4. ذهب معظم الباحثين المعاصرين إلى أن العلو والإفساد الثاني لليهود حاصلٌ في يومنا هذا، ويتفقون على أن من سيقضي على هذا العلو هم من المسلمين دون غيرهم.
5. استنتج بعض الباحثين المعاصرين أن العلو الأول لليهود واقعٌ في يومنا هذا، وأن العلو الثاني سيتبعه في آخر الزمان وسينتهي بنزول السيّد المسيح.
6. لقد ارتأى الباحث في الدراسة وخلافًا للآراء التي تمَّ الرجوع إليها، أن العلو والإفساد الأول حاصلٌ اليوم في تاريخنا المعاصر، بعد أن تيقّن من أن أحداث معركة طوفان الأقصى التي اندلعت في 7 تشرين الأول (أكتوبر) 2023، تتشابه إلى حدٍّ بعيد وما ورد في سورة الإسراء من الاتيان بعمليّة الجوس خلال الديار.
7. من باب الاجتهاد يرى الباحث أن ما تبذله المقاومة الفلسطينيّة وحزب الله اللبناني من جهاد، سيفضي إلى انتهاء العلو الأول لليهود في فلسطين بصرف النظر عن الاختلاف المذهبي بين الطرفين.
8. ومن باب الاجتهاد وخلافًا للآراء التي تمَّ الرجوع إليها، نرى أن العلو والإفساد الثاني لليهود سوف يحدث في تاريخٍ لاحق للعلو الأول وليس في آخر الزمان كما ذهب إليه البعض.

ثانيًا: التوصيات

من أبرز التوصيات التي توصي بها الدراسة:

1. دعوة الباحثين لعمل دراسات جدّية فِيما يخصُّ القضايا الخلافيّة الواردة في القرآن الكريم أو في السُنّة النبويّة الشريفة، لكن دون أن يكون الهدف من وراء ذلك الطعن فِيما ورد فيهما من حِكمٍ إلهيّة.
2. حثّ المفسّرين وعلماء الدين الإسلامي تحديدًا بعدم الجمود في تفسير القضايا الخلافيّة الواردة في القرآن الكريم أو في السُنّة النبويّة الشريفة، ما لم يخالف الشريعة الإسلاميّة السمحة.

مراجع الدراسة

أولًا: الكتب المقدّسة

- **القرآن الكريم.**
- **العهد القديم.**

ثانيًا: المصادر والمراجع العربيّة والمترجمة

[1] إبراهيم (موسى مطلق) (1994)، **وعد التوراة من أبرام إلى هرتزل**، ط1، بيروت، مريخ للطباعة والنشر والتوزيع.

[2] جارودي (رجاء) (1986)، **فلسطين أرض الرسالات الإلهية**، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، القاهرة: مكتبة دار التراث.

[3] جرار (بسام) (1993)، **زوال إسرائيل 2022 نبوءة قرآنية أم صدف رقمية؟**، لبنان: مكتبة البقاع الحديثة.

[4] جريس (صبري) (1977)، **تاريخ الصهيونية (التسلل الصهيوني إلى فلسطين 1862-1917م)**. ج1، بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية.

[5] سوسة (أحمد) (1978)، **ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق**، ط1، بغداد: مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، مطبعة أسعد.

[6] السويدان (طارق) (2004)، **فلسطين: التاريخ المصور**، الكويت: شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع.

[7] الشعراوي (محمد متولي) (1991)، **تفسير الشعراوي**، ج14، القاهرة: مطابع أخبار اليوم.

[8] **صحيح مسلم** (132هـ / 1991م)، ج1، كتاب الإيمان، باب قوله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)، الحديث (1920)، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

[9] الطبري (محمد بن جرير) (1420هـ / 2000م)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مج 17، القاهرة: مؤسسة الرسالة.

[10]الطبري (محمد بن جرير) (د.ت)، **تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار**، مسند عمر بن الخطاب، تحقيق: محمود محمد شاكر، ج2، السفر الأول، القاهرة: مطبعة المدني.

[11]طعيمة (صابر عبد الرحمن) (1972)، **اليهود بين الدين والتاريخ**، ط1، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

[12]طنطاوي (محمد سيد) (2000)، **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، ط2، القاهرة: دار الشروق.

[13]عبد الرحمن (عبد الهادي) (1994)، **التاريخ والأسطورة: الحراك الثقافي في المنطقة العربية قديماً، نقدٌ وبناءات تصورية**، ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

[14]عبد الستار (عبد المعز) (جمادى الآخرة 1376هـ)، "**سورة الإسراء تقُصُّ نهاية بني إسرائيل**"، مجلة الأزهر، مج28، ج6.

[15]عثمان (أحمد) (1994)، **تاريخ اليهود**، ج1، 3، القاهرة: مكتبة الشروق.

[16]كوستلر (آرثر) (1985)، **إمبراطورية الخزر وميراثها: القبيلة الثالثة عشرة**، ترجمة: حمدي متولي صالح، ط2، لجنة الدراسات الفلسطينية، دمشق: دار الجليل.

[17]المجذوب (محمد) (1973)، "**دروس من الإسراء**"، الكويت: مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف الكويتية، العدد 103.

[18]مسلم (مصطفى) (1999)، **معالم قرآنية في الصراع مع اليهود**، ط2، سلسلة التفسير الموضوعي (3)، دمشق: دار القلم.

[19]مهران (محمد بيومي) (1995)، **دراسات تاريخية من القرآن الكريم (1)، في بلاد العرب**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

[20]أبو نحل (أسامة) (حزيران 2011)، "**يهودية دولة إسرائيل: جذور المصطلح وتأثيره على القضية الفلسطينية**"، مجلة جامعة القدس المفتوحة، مج (23)، العدد (1).

[21]أبو نحل (أسامة)؛ مخيمر (عصام) (2008)، **تاريخ فلسطين القديم بين روايات العهد القديم والدراسات الحديثة**، ط1، غزة: مكتبة القدس.

[22]هلال (محمد) (1997)، **الإسراء وإسرائيل**، ط1، عمّان: دار البشير، بيروت: مؤسسة الرسالة.

ثالثًا: المواقع الإلكترونيّة

[23]"**منظمة ناطوري كارتا اليهودية**"، الجزيرة نت، (2009/7/5)؛

[24]https://www.ajnet.me/news/2009/7/5/منظمة-ناطوري-كارتا-اليهودية